أرمينيا الصغرى وعلاقاتها مع دولة المماليك البحرية (595- 776/ 1198- 1375م)

د. حسين كاظم خيون
المديرية العامة لتربية محافظة ديالى/ المقدادية

ملخص البحث:

تضمن موضوع البحث الموسوم أرمينيا الصغرى وعلاقاتها مع دولة المماليك البحرية (595- 776/ 1198- 1375م) وهي المدة الممتدة من قيام دولة أرمينيا الصغرى الناشئة في الجزء الجنوبي الغربي المطل على البحر المتوسط، وحتى سقوطها على أيدي المماليك، شمل موضوع البحث عدة مباحث شمل المبحث الأول الوصف الجغرافي ومرحلة التأسيس وتناول المبحث الثاني قيام مملكة أرمينيا الصغرى من خلال مراسيم الأحتفال وتتويج الملك رسمياً، في حين تطرق المبحث الثالث، موقف الأيوبيين من قيام أرمينيا الصغرى والأدوار الخطيرة التي قامت بها ضد المسلمين من خلال الاتفاقيات مع أعدائهم الصليبيين والروم والمغول وغيرهم، حتى أصبحت هذه المملكة الظهير القوي لأعداء المسلمين ومنها تنطلق الحملات العسكرية ضد المدن الإسلامية التي تسمى الثغور وغيرها من مدن بلاد الشام. وكان موقف الأيوبيين يهدف إلى استعادة هذه الثغور والقضاء على هذه المملكة التي تعد خنجراً في جنب المسلمين. فكان المبحث الرابع الذي شمل علاقات الأرمن في عهد المماليك البحرية والذي هو امتداد لموقف الأيوبيين، إذ استمر الأرمن في موقفهم العدائي المستمر في محاربة المسلمين اقتصادياً وعدم دفع الجزية والتحالف مع أعدائهم، الأمر الذي اضطر السلاطين المماليك في تجريد حملات عسكرية كبيرة امتدت لعشرات السنين، منذ عهد الظاهر بيبرس ثم في عهد قلاوون وأولاده خصوصاً الأشرف خليل، تم في عهد حسام الدين لاجين، إلا أن الناصر محمد بن قلاوون كان من أكثر السلاطين الذين واصلوا حملاتهم ضد الأرمن، وذلك لمدة حكمه التي دامت أكثر من أربع عقود وبالنتيجة واجهت أرمينيا الصغرى مشاكل كثيرة

منها فقدان حلفائهم من المغول والامارات الصليبية، وضعفها الاقتصادي، وتمدد الدولة العثمانية وتوسع أملاكها، لتنتهي هذه المملكة على أيدي المماليك نهائياً وتنقرض من الخارطة السياسية ولم يعد لها أي وجود في العام (776هـ/ 1375م).

المقدمة:

تناول موضوع البحث أرمينيا الصغرى وعلاقاتها مع دولة المماليك البحرية (595- 776/ 1198- 1375م) التي لعبت دوراً خطيراً ضد المسلمين من خلال تحالفها مع أعدائهم من الصليبيين والمغول والكرج.

إذ اهتمت الدراسات الغربية والعربية بمدة الحروب الصليبية خلال (القرن السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد)، وكان بحثنا هذا يمثل حلقة مهمة من سلسلة البحوث والدراسات التي تبحث في هذه المدة الزمنية التي أتسمت بتطورات عميقة وشاملة وتركت الآثار التاريخية المهمة في حياة المسلمين، ولأعطاء صورة واضحة لهذه الدولة التي نشأت بعد قيام الإمارات الصليبية وأنهارت بعد انهيارها والتي شكلت طعنة كبيرة في جنب المسلمين وألحقت خسائر كبيرة بهم، الأمر الذي أدى إلى تكاتف المسلمين من أجل الضغط عليها حتى أسقاطها.

تناول البحث عدة مباحث منها:

المبحث الأول الذي شمل الوصف الجغرافي ومراحل تأسيس أرمينيا الصغرى والأسباب التي أدت إلى ذلك، في حين تطرق المبحث الثاني الى قيام دولة أرمينيا الصغرى من خلال تتويج الملك واعلان الدولة، أما المبحث الثالث فكان يتعلق بموقف الأيوبيين من هذه الدولة التي قامت على أرض إسلامية والذي اتسم بالموقف العدائي المستمر، أما المبحث الرابع الذي تطرق إلى موقف المماليك الذي هو امتداد للموقف الأيوبي وتناول الفعاليات العسكرية في عهد الظاهر بيرس ومن ثم في عهد قلاوون وأولاده، وأما المبحث الأخير فتضمن نهاية أرمينيا الصغرى وانقراضها على أيدي المماليك.

المبحث الأول: الوصف الجغرافي ومرحلة التأسيس.

أرمينية: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، وسميت بذلك نسبة لأرمينية بن لنطا بن أومر بن يافت بن نوح (عليه السلام). وكان أول من نزلها وسكنها. وقيل هما أرمينيتان الكبرى والصغرى، وقيل هي ثلاث أرمينيات وقيل أربع [1].

إنَّ موضوع بحثنا يتناول أرمينيا الرابعة وهي أرمينيا الصغرى، ومن مدنها شمشاط وقاليقلا وأرجيش وباحنيس [2]، ومدينة ملطية وهي من أجل الثغور وأشهرها، وهي من أقوى بلد للروم، يسكنها الأرمن ومدينة أذنة الواقعة على غربي نهر سيحان[3].

أما أرمينية الكبرى، فهي موطن الأرمن الأصلي الواقعة في المنطقة الجبلية الممتدة جنوبي القوقاز والبحر الأسود، أي بين بلاد فارس شرقاً وبلاد الروم غرباً.

بعد قيام دولة السلاجقة (428- 590هـ/ 1036- 1193) أستولوا على أراضي تابعة للأرمن الواقعة في آسيا الصغرى عند منابع نهر الفرات. الأمر الذي أدى إلى هجرة أعداد كبيرة منهم واستوطنوا في المناطق الجبلية الوعرة في جنوب غرب آسيا الصغرى، لاسيما قرب جبال طوروس وصحبهم إلى تلك الجهات عدد كبير من حواشيهم، ولما أشتدت غارات السلاجقة وغزواتهم، غادر مواطنهم حشد متصل من الأرمن، فلحقوا بتلك المنازل الجديدة، في هجرة مستمرة نحو الجنوب الغربي، وأنتشروا في وادي نهر الفرات الأوسط في حدود سنة (472هـ/ 1079م).

كما أستوطنوا مدينة قليقية، وأسسوا فيها إمارة [4].

وقد رحب الروم البيزنطيين في بادئ الأمر بالمهاجرين الجدد وذلك لكونهم من ديانة واحدة، وخوفاً عليهم من المسلمين السلاجقة، ومن ثم منحهم أراضي واسعة، الأمر الذي أدى إلى ازدياد هجرتهم إلى موطنهم الجديد، بعيداً عن التمدد السلجوقي في آسيا الوسطى، وأستوطنوا في طرق رئيسية ومناطق وعرة يصعب الوصول إليهم، وتقع هذه المناطق شمال بلاد الشام وجنوب غرب آسيا الصغرى، وهي أراضي كانت تحت سيطرة الدولة العربية الإسلامية منذ أن أفتتحها المسلمون في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي.

وقد أطلق المؤرخون العرب على هذه المناطق عدّة تسميالت، أهمها الثغور الإسلامية لوقوعها على أطراف بلاد الشام من جهة الأمبراطورية البيزنطية المجاورة لها. وتشمل هذه الثغور الشامية طرطوس، أذنه، عين زربة، المصيصة، الهارونية [5]. فضلاً عن مدينة أنطاكية وغيرها من المدن التي سماها هارون الرشيد بالعواصم [6]، بالإضافة إلى العديد من القلاع والحصون ومنها قلعة بغراس الحصينة ودربساك هذان الحصنان اللذان كان لأنطاكية جناحين [7]، بالإضافة إلى طرسوس وغيرها من المدن التي تقع في

الأقليم الخامس ضمن بلاد الشام والروم والجزيرة وسواحل بحر الروم الذي هو بحر الشام ومصر [8].

وبعد أن تهيأت الفرصة بالهجرة ازداد عددهم في جبال طوروس، كانوا أقل من غيرهم تعرضاً للخطر، لأن الأراضي التي نزلوا بها، لم يكن من السهل الوصول إليها، بينما كان من اليسير الدفاع عنها [9].

استطاع ملكهم أوشين بن هيثوم أن يسيطر وقتذاك على الجبال الواقعة إلى الغرب من أبواب قليقية، وكان يأمل في الأستقرار في سهل قليقية الخصيب حيث تألفت غالبية السكان فيه من الأرمن [10]، وتركزوا كذلك في الجهات المحيطة بملطية والرها وأنطاكية[11]، وبعد أن أستقروا في المنطقة بدأوا ببناء المعاقل وتحصينها بالأبراج، وتمكنوا من السيطرة على أراضي جبلية واسعة تتحكم بطرق مواصلات رئيسية تربط ما بين آسيا الصغرى وبلاد الشام.

المبحث الثاني: قيام دولة أرمينيا الصغرى.

بعد أن توفرت أسباب قيام الدولة، أعلن الأرمن عن تأسيس دولتهم الجديدة في العام (595هـ/ 1198م)، عرفت بأسم ((مملكة أرمينيا الصغرى))، بزعامة ملكهم ليون الثاني الذي توّج في مراسيم أحتفالية ضخمة شهدها رئيس الأساقفة، وحضرها رسل من الخليفة العباسي، فضلاً عن عدد كبير من نبلاء أنطاكية، وابتهج الأرمن بهذا الاعلان الذي أرادوا منه أن يلبي طموحاتهم في إحياء مملكتهم القديمة أرمينيا الكبرى، وأصبحت مدينة سيس [12]، عاصمة لهم [13].

وأضافوا إلى مملكتهم مدن إسلامية منها ملطية التي تتاخم بلاد الشام وأخربها الروم، فبناها المنصور العباسي سنة تسع وثلاثين ومائة، وجعل عليها سوراً، ونقل إليها قبائل من العرب [14]، فضلاً عن مدينتي أذنة وطرسوس اللتين بناهما هارون الرشيد، وباب الأسكندرونة قرب أنطاكية التي بناها أحمد بن أبي داود في خلافة الواثق العباسي[15].

المبحث الثالث: موقف الأيوبيين من أرمينيا الصغرى.

كان من بين الأهداف التي سعى إلى تحقيقها الأيوبيين في فترة حكمهم، أرجاع المناطق المتآخمة لشمال بلاد الشام (الثغور الشامية)، والتي استوطنها الأرمن بمساهمة الروم البيزنطيين إلى الدولة الإسلامية.

وكان الأرمن منذ قدومهم إلى المنطقة التي استوطونها، عملوا جاهدين الى قيام تحالف مع أعداء المسلمين من الصليبيين والروم ومن ثم الكرج والمغول للوقوف ضد المسلمين، وتحقيق أطماعهم التوسعية على حساب أراضي وشعوب المسلمين، الأمر الذي أثار غضب المسلمين في بلاد الشام ومصر، فجهزوا سلسلة من الحملات العسكرية استمرت واستغرقت زمناً طويلاً لتقليص دائرة نفوذ الأرمن في المنطقة والحد من أطماعهم وتوسعاتهم ومواقفهم المعادية.

بعد استقرار الدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين الأيوبي وفي العام (576هـ/ 1180م)، تعرض الملك الأرمني أبن ليون لقوم من التركمان المسلمين، وغدر بهم، وسبى حريمهم، وأخذ أموالهم، وأسر رجالهم [16].

فلما سمع بذلك صلاح الدين جهز حملة عسكرية في نفس العام ضد الأرمن قبل أن يتم إعلان قيام دولتهم، وأستطاع أن ينزل على النهر الأسود [17].

وبالرغم من أن الدخول إلى بلاد الأرمن صعب، لأنها ذات طبيعة طوبغرافية معقدة من كثرة الجبال والمضائق، إلا أن الجيش الإسلامي استطاع شن الغارات ونصب الكمائن، وتمكنوا من حرق وتدمير قلعة من أكبر قلاع الأرمن تقع على رأس الجبل، وبادر الجند إلى إخراج ما فيها من الغلات والآلات... وأتموا هدمها إلى الأساس [18]، فأرسل ابن ليون يبذل إطلاق من عنده من الأسرى والسبي، وإعادة أموالهم، على أن يعودوا عن بلاده، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك، وأستقر الحال، وأطلق الأسرى، وأعيدت أموالهم [19].

استمرت العلاقات السياسية بالتدهور نتيجة قيام الأرمن بعقد تحالفات مع الصليبيين ضد المسلمين، وشن الغارات على مدن بلاد الشام ومنها حلب مما اضطر الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب إلى طلب المساعدات العسكرية من مصر، وعقد تحالفات مع سلاجقة الروم وبقية المدن الشامية للتصدي للأرمن، نتيجة لهذه الإجراءات والضغوط، فقد أعلن ليفون الثاني (بعض المؤرخين أطلق كلمة ليو والبعض ليون والآخر ليفون وهي تدل على ملك الأرمن) خضوعه للملك الظاهر وإعادة جميع المدن التي كان قد استولى عليها، وبذلك عقدت اتفاقية بين الطرفين في العام (612هـ/ 1215م) بإطلاق سراح أسرى المسلمين فتم ذلك [20].

وبعد أن أعتلى عرش مملكة أرمينيا الصغرى هيثوم الأول (623- 668هـ/ 1226- 1269م) أدرك منذ الوهلة الأولى إلى أهمية التحالف مع عدو المسلمين الجديد المغول، لتحقيق أهدافه التوسعية، وبالفعل قام في العام (651هـ/ 1253م)، بزيارة إلى العاصمة المغولية قراقورم والتقى مع منكوخان المغولي وتباحثا في كيفية مساهمة الأرض في الحملات العسكرية التي يقودها المغول في احتلال مناطق من العالم الإسلامي [21].

وتمنى أن يقوم المغول بإسناده عسكرياً عن طريقة إرسال قوة مغولية لطرد المسلمين من بلاد الشام والأستيلاء على بيت المقدس، وحصل هيثوم على تأكيدات بتنفيذ هذه الوعود، فضلاً عن إعطاءه امتيازات خاصة منها: إعفاء الكنائس والأديرة الأرمنية، داخل المناطق التي يسيطر عليها المغول من دفع الضرائب، ثم التأكيد على تكوين جبهة من المسيحيين والمغول ضد المسلمين، وأعتبر هيثوم نفسه تابعاً للمغول[22].

بعد ذلك اتصل هيثوم بالأمراء الصليبيين المتواجدين في المنطقة التي استولوا عليها، ودعاهم إلى المشاركة في مشروعه الكبير الذي عرضه على المغول، ولكنه لم يلق إذن صاغية سوى صهرهِ بوهمند السادس أمير أنطاكية الذي استجاب لدعوته.

المبحث الرابع: علاقات الأرمن في عهد المماليك.

حاول هيثوم فرض حصار اقتصادي على دولة المماليك وذلك من خلال تقديم تسهيلات خاصة مادية ومعنوية للتجار الأوربيين وخصوصاً تجار البنادقة الذين كانوا ينقلون على سفنهم ما تحتاج إليه دولة المماليك من الخشب والحديد لصناعة السفن وآلات الحرب والحصار والرقيق الأبيض [23].

ألا أنه بدأ بمنع تصدير الأخشاب والحديد إلى مصر، من آسيا الصغرى، ومصر هي بأمس الحاجة اليهما، وكان هيثوم وصهره بوهمند السادس أمير أنطاكية يسيطران على الغابات في جنوبي الأناضول ولبنان، وكانا يأملان في أن يتخذوا من هذه الخطوة أداة للمساومة مع المماليك [24].

وقام هيثوم كذلك بأغلاق الطرق البرية المؤدية إلى بلاد الشام، وتسبب في وقف تدفق الرقيق الأبيض من بلاد القوقاز وآسيا الصغرى، كما أغلق الموانئ الأرمنية في وجه التجارة المملوكية مما تسبب في عرقلة التجارة، إلا أن المماليك استخدموا تجار البندقية الذين كان لديهم مصادر المعلومات اللازمة في شراء العبيد بشكل منظم [25]. وكانت التجارة المورد الرئيسي لدولة المماليك التي تشكل همزة الوصل بين تجار الشرق

والغرب في العصور الوسطى [26]، وتعد التجارة القوة التي بنيت عليها الدولة، وأي محاولة من هذا النوع تؤثر في دخل المماليك وبالتالي قوتها العسكرية. كما أن حكومات المغول في بلاد فارس بادروا إلى تأمين طرق التجارة البرية ومحاربة قطاع الطرق وتخفيض الضرائب، مما نتج عن انتعاش طريق تبريز- أرمينيا الصغرى، حتى أصبح ميناء أياس الأرمني المركز الاقتصادي الواسع النشاط والأزدهار، ولم يلبث أن شعر المماليك في مصر بمنافسة أرمينيا الصغرى لهم خاصة حين لجأت الحكومة الأرمنية الى تخفيض الضريبة المفروضة على البضائع المارة ببلادهم من أربعة في المائة إلى أثنين في المائة، الأمر الذي جعل تجار الولايات الإيطالية مثل جنوة والبندقية وبيزا ومرسيليا وغيرهم من تجار أوربا يهرعون إلى ميناء أياس الأرمني لأبتياع ما يحتاجون إليه من حاصلات الشرق [27].

أ- في عهد الظاهر بيبرس:

بذل سلاطين المماليك جهوداً كبيرة لتحطيم هذا الحصار الأقتصادي المفروض وذلك من خلال الإجراءات السريعة ومنها التسهيل والترحيب بتجار أوربا وحسن معاملتهم في البلاد، ومنحهم امتيازات وعقد المعاهدات التجارية مع دولهم وولاياتهم [28]، كما أن الحصار لم يؤدي إلا إلى إمعان الظاهر بيرس في عزمه على القتال وإنزال العقاب بالأرمن الذين سبق أن بذلوا المساعدة للمغول وبوهمند أمير أنطاكية المتحالف معهم، ولما شعر هيثوم بقوة المماليك وعزم الظاهر بيبرس المسير إلى دولته حاول التفاهم معه بالطرق الدبلوماسية ليجنب البلاد كارثة حقيقية، وتم فتح باب المفاوضات وترددت الرسل، فطلب بيبرس من هيثوم، أن يدخل في طاعته، ويؤدي الجزية، ويفتح الدروب والطرق التجارية بين أرمينيا الصغرى وبلاد الشام لتمكين الناس من شراء القمح والشعير والخيل والحديد من البلاد [29].

لم تؤدي المفاوضات إلى نتيجة تذكر مما اضطر هيثوم من اللجوء إلى حليفه التقليدي المغول في بلاد فارس، ولما علم بيبرس بذلك انتهز غياب هيثوم وأرسل حملة عسكرية في العام (664هـ- 1266م)، بقيادة الملك المنصور صاحب حماة وأمرهم بالسير إلى بلاد الأرمن، فتوغلت الحملة حتى وصلت إلى بلاد سيس بين أنطاكية وطرسوس [30].

وكان الأرمن قد استعدوا للقتال وعززوا استحكاماتهم الدفاعية، واصطدم الجيشان في معركة شديدة قرب القلعة الحصينة في درباك، وفيها دارت الدوائر على جيش الأرمن، فداستهم العساكر الإسلامية، وأفنوهم قتلاً وأسراً وقتل ابن هيثوم الأول وأسر أبنه الثاني (ليفون)، وأنتشرت العساكر الإسلامية في سيس[31]، ثم عادت العساكر وقد امتلأت أيديهم بالغنائم، وأخذ الذعر يسود الأرمن وحقق المسلمون نتائج هامة في حسم المعركة لصالحهم، ولما وصلت أنباء هذا الانتصار إلى السلطان الظاهر بيبرس قرر الرحيل إلى مدينة حماة ثم أفامية لأستقبال الجيش والأحتفاء بقدومه [32].

وعندما علم هيثوم بما حل ببلاده أسرع بالعودة إليها وقد صحب معه عسكراً من المغول والروم فوجدوا البلاد خراباً، وعلم بما جرى لولديه، فأتصل ببيبرس في خلاص ولده الأسير، فأشترط بيبرس إطلاق سراح سنقر الأشقر الذي أسره المغول في حلب، مقابل إطلاق سراح ليون ابن هيثوم، فتم الاتفاق على ذلك[33].

وفي العام (668هـ/ 1269م)، اعتزل هيثوم الحياة السياسية وخلفه أبنه ليون في تولي أمور المملكة (668- 688هـ/ 1269- 1289م)، وساد العلاقات بين الطرفين الهدوء والآمان حتى وفاة الظاهر بيبرس في العام (676هـ/ 1277م)، وخلفه ولده السعيد بركة الذي قاد حملة على الأرمن في العام (677هـ/ 1278م) ساهمت فيها العساكر الشامية، فساروا إلى بلاد سيس ودخلوها وشنوا الغارة عليها وغنموا ثم عادوا إلى دمشق [34].

ب- في عهد قلاوون وأولاده:

تولى السلطة في دولة المماليك بعد عزل السلطان سلامش بن بيبرس باعتباره صبياً، لا يستطيع النهوض بأعباء الحكم، وتولى السلطنة في العام (678- 1279م)، وتلقب بلقب (الملك المنصور سيف الدين قلاوون) وبايعه الأمراء وخطب له على المنابر[35].

استمر العداء الدائم بين المماليك والأرمن بأستمرار الحروب الصليبية بين القوى الإسلامية من جهة والصليبيين الذين وقف الأرمن إلى جانبهم من جهة أخرى وأستمروا بعقد تحالفهم مع المغول بهدف إنزال الهزيمة بالمسلمين ولم يتعضوا بالهزائم التي لحقت بهم. ففي عهد بيبرس أستقر الحال على أن يدفع الأرمن الجزية والدخول في طاعة المماليك، إلا أن الأرمن استغلوا الاضطرابات الداخلية للمماليك وحاولوا مهاجمة أطراف

دولة المماليك في شمال بلاد الشام، من أجل التخلص من التبعية وأمتناعهم عن دفع الجزية. ففي عام (682هـ/ 1284م) ورداً على مهاجمة الأرمن لمدينة حلب وإحراقهم لمساجدها؛ هاجمت القوات المملوكية ميناء أياس، وأنزلت الهزيمة بالأرمن، كما اشتبكت معهم عند باب الأسكندرية، وعادت محملة بالغنائم [36]. ولما شعر ملك الأرمن بقوة المماليك طلب من السلطان عقد هدنة وصلح بين الطرفين، وأستقر الرأي على أن يقوم الأرمن بدفع مبالغ مالية ضخمة كجزية وإطلاق سراح كافة الأسرى المسلمين، وتستمر الهدنة مدة عشرة أعوام اعتباراً من (684هـ/ 1285م)[37].

ت- في عهد الأشرف خليل بن قلاوون:

جلس السلطان خليل الذي تلقب بـ (الملك الأشرف) على عرش السلطة عام (689هـ/ 1290م) وبدأ يتأهب للخروج على رأس الحملة العسكرية إلى بلاد الشام، وبعد سلسلة من الفتوحات التي شملت جميع البلاد الساحلية للإسلام أتجه الملك الأشرف خليل هذه المرة إلى قلعة الروم الواقعة غربي نهر الفرات، وهي من المراكز المرشحة للحملة العسكرية التي يقوم بها المماليك، بوصفها (كرسي خليفة الأرمن) حسب قول القلقشندي [38]،

وفي لغة الأرمن يسمى الخليفة (والي الكنيسة) عندهم (كيناغيلوس)، ولأهمية قلعة الروم، ذكر ياقوت الحموي في وصفه القلعة إلى ضرورة فتحها بوصفها من المراكز الدينية المهمة للأرمن وتقع في وسط بلاد المسلمين، كما أشار إلى سبب تأخيرها يرجع لقلة جدواها فأنه لا دخل لها [39]، وفي العام (691هـ/ 1291م)، استطاع الأشرف خليل أن يقود حملة عسكرية بنفسه وبصحبته عدد من الأمراء المشاركين في هذه الحملة كان منهم أبو الفداء الذي قدم لنا وصفاً لفعاليات الجيش المملوكي فقال ((كنا نشاهد أحوال أهلها في مشيهم وسعيهم في القتال... وقبل أن نرمي بالمنجنيق طلبوا الأمان من السلطان فلم يؤمنهم إلا على أرواحهم وأن يكونوا أسرى فأجابوا إلى ذلك، وأخذ كيناغيلوس وجميع من كان بالقلعة أسرى عن آخرهم، ثم رتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعي لتحصين القلعة)[40]، وبعد أن تم فتحها وملكها، تم تهديمها [41]، وأمر السلطان الأشرف بتغيير اسم القلعة إلى اسم قلعة المسلمين بدلاً من اسم قلعة الروم[42].

وكان فتح القلعة بعد حصار عظيم مدة ثلاثين يوماً، وغنم المسلمون شيئاً كثيراً، ثم عاد السلطان إلى دمشق ومعه ملك قلعة الروم أسيراً [43].

ث- في عهد حسام الدين لاجين:

في العام (693هـ/ 1293) وبعد مقتل السلطان الأشرف خليل، دخلت البلاد في حوادث الفوضى والمؤامرات والقتل بشكل متواصل، ولم تشن أي حملة ضد الأرمن، فأستغل الأرمن هذه الفرصة وحاولوا استعادة نفوذهم على مدن بهنسا، ومرعش، وتل حمدون، فضلاً عن امتناعهم دفع الجزية وخروجهم على طاعة المماليك[44].

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً فبعد أن تسلم حسام الدين لاجين السلطنة ولقب (الملك المنصور)[45]، وبالرغم من كونه لم يلبث في الحكم سوى سنتين وثلاثة أشهر، إلا أنه استطاع أن يقود حملة عسكرية كبيرة إلى أرمينيا الصغرى في العام (697هـ/ 1297م)، سار من بلاد مصر قاصداً بلاد سيس في نحو ثلاثة آلاف مقاتل [46], ورسم السلطان خطة عسكرية لمهاجمة الأرمن تتضمن دخول الجيش عن طريق مدينة الأسكندرونة وعبور نهر جيحان الحد الفاصل بين المسلمين والأرمن، والقيام بنصب الكمائن وشن الغارات واستطلاع قوة الأرمن ورد فعلهم، ثم العودة إلى حلب لتحقيق مبدأ المباغتة والتظاهر بالأنسحاب، كما توجه عسكر حمص وحماة وحلب إلى بلاد سيس لأخذ تل حمدون [47]. وكان أبو الفداء صاحب حماه من المشاركين في هذه الحملة، وقدم لنا صورة عن الحصار الذي فرضه الجيش الإسلامي وقال ((وهذه الغزوة من الغزوات التي حضرتها وشاهدتها من أولها إلى آخرها... وكان قد أجتمع من الأرمن عالم عظيم، وكذلك اجتمع فيها من الدواب شيء كثير فهلك غالبهم بالعطش، من شدة الحصار الذي دام سبعة عشر يوماً))وخرج نحو ألف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العسكر وغنموهم، فكانت حصة أبي الفداء (جاريتين ومملوكاً)، وتم اكتساح مدينة سيس، ثم مروا بقلعة بغراس، ثم مرج أنطاكية، ومروا بجسر الحديد في بلاد الروم، ثم قصدوا تل حمدون فوجدوها خاوية، وقد انتقل الأرمن إلى قلعة النجيمة، فأرسلت قوة عسكرية، هاجمت القلعة ودخلتها بعد حصار، وفتح الجيش المملوكي أحد عشر حصناً أخر [48].

كان من نتائج هذه الحملة العسكرية، ضغط الأرمن على ملكهم سنباد وتحميله تبعة تلك الهزائم التي حلّت بهم، فتم عزله وتنصيب أخيه دندين (قسطنطين) محله، سارع الملك الجديد بإجراء مفاوضات مع المماليك تمخضت عن إقرار الصلح وإقامة علاقات سياسية معهم، وطلب أن يكون نائباً للسلطان، فوافقوه على هذه المطالب، مقابل الانسحاب عن المدن التي تقع جنوب نهر جيحان كحد فاصل بين الأرمن والمسلمين، ففعل ذلك وتنازل

عن تل حمدون وكيرا والنفير وحجر شغلان وسرفندكار ومرعش وغيرها من المواقع المجاورة لها [49].

بقيت هذه المدن في حوزة المسلمين أكثر من سنتين سعوا خلالها إلى أعمارها وإعادة تحصينها حتى أن أبي الفداء انتقد السلطان حسام الدين لاجين، ولم يوافقه الرأي على النفقات التي تصرف عليها وعدّ ذلك "رأياً فاسداً" لعدم قدرة المسلمين على الاحتفاظ بها مستقبلاً، فتحقق ذلك أثناء غزو المغول بقيادة غازان لبلاد الشام سنة (699هـ/ 1299م)، فأنسحب المسلمون عنها واستولى عليها الأرمن مجدداً [50].

ج- في عهد الناصر محمد بن قلاوون:

تم تنصيب السلطان محمد بن قلاوون لتولي السلطنة للمرة الثانية للمدة 698-708هـ/ 1299- 1309م)، وللمرة الثالثة للمدة (709- 741هـ/ 1310- 1340م)، بعد أن تم تنصيبه للمرة الأولى في العام (693هـ/ 1293م)، حكم في سلطنته الأولى سنة واحدة، وكانت سلطته أسمية، فقد كان غلاماً صغيراً لا يتجاوز التاسعة من عمره في وقتها. وبذلك يكون حكم في السلطنة أكثر من أربعة عقود وفي عهده واصل الضغط على دولة أرمينيا الصغرى فبعد استقراره في السلطنة، وفي العام (701هـ- 1301م)، حاول المسلمون استعادة المدن التي استولى عليها الأرمن بمساعدة المغول، فتم تجهيز قوات عسكرية ومعها جيوش بلاد الشام لتوجيه ضربات عسكرية للأرمن، وحققت الجيوش انتشاراً واسعاً في بلاد سيس، فحرقت الزروع ونهبت ما وجدت، ثم عادت هذه العساكر [51].

إلا أن الملك هيثوم الثاني عاد إلى سيرته الأولى، فأمتنع عن دفع الجزية، فأرسل السلطان إلى نائب حلب قراسنقر المنصوري في العام (705هـ/ 1305م) لقيادة العساكر إلى بلاد الأرمن، فواصلت زحفها باتجاه العاصمة سيس، فأحرقت بعض القرى أثناء زحفها [52]، لكنها فشلت في تحقيق انتصار على الأرمن بسبب تكوين تحالف ثلاثي من الأرمن والمغول والصليبيين، هدفه التصدي لهجوم المماليك على أرمينيا الصغرى، والتقى هذا التحالف مع جيش المسلمين بالقرب من أياس، فلم يكن للحلبيين قدرة بمن معهم، فتمكن التحالف منهم، فقتلوا وأسروا غالبيتهم، واختفى من سلم منهم في الجبال[53].

ثم تحركت العساكر الإسلامية ضد ملطية التي هي من أملاك الأرمن في العام (715هـ/ 1315م) واستطاعت أن تحقق انتصارات على الأرمن، مما جعل ملكهم

أوشين بن ليون الذي تولى السلطة منذ العام (707هـ/ 1307م) بعد مقتل هيثوم على يد المغول، أن يتنازل عن المواقع التي تقع جنوب نهر جيحان، وزاد المسلمون (الضريبة) التي فرضت عليه حتى بلغت نحو ألف ألف (أي مليون) درهم سنوياً [54].

ويبدو أن السلطان الناصر محمد لم يقتنع بالانسحاب الأرمني من جنوب نهر جيحان ولا التنازلات التي وافق عليها ملك الأرمن، بل أراد تأديبه وانزال العقوبة به لأنضمامه إلى المغول في حملتهم التي وجهوها ضد بلاد الشام، فأصدر الناصر مرسومه في العام (720هـ/ 1320م) الى أمراء الجيش بالتوجه إلى حماة، مركز تجمع الجيوش، ثم الإغارة على مدينة سيس، ففعلوا ذلك، رغم المصاعب التي واجهت هذا الجيش أثناء تقدمه، وأهمها، فيضانات نهر جيحان التي اغرقت الكثير من الجند، إلا أنهم واصلوا تقدمهم ونازلوا قلعة سيس وزحفت العساكر عليها حتى بلغوا السور، وغنموا منها وأتلفوا البلاد والزرع وساقوا المواشي... وأحرقوا دار الملك وقطعوا الأشجار، ووجهوا ضربات عسكرية إلى المدن التي مروا فيها ومنها، المصيصة وخربوا أذنة وعاثو بطرسوس، وشاهد ملكهم، حريق بلاده وخراب أماكنه وقتل رعيته وسوق دوابهم، فلم يستطع تحمل تلك المآسي فلقي حتفه على أثر ذلك تاركاً ولده الصغير ليون الثاني الذي لم يبلغ سن الرشد ليقوم مقامه [55].

وذكر المقريزي أخبار هزائم الأرمن التي وصلت الى القاهرة في العام (722هـ/ 1332م)، وفيها قدم البريد بأن أوشين متملك سيس هلك، وقام من بعده أبنه ليون وله من العمر أثنتي عشر سنة [56].

ثم أجرى ليون اتصالات سرية مع الصليبيين بهدف الحصول على مساعدات عسكرية، ووصلت هذه الأخبار إلى مسامع السلطان الناصر محمد، الذي أمر نائب حلب علاء الدين الطنبغا بغزو بلاد سيس فدخل إليها بالعساكر، وأكتسح جهاتها وحصر قلعة النقير وأفتتحها، وأسر ثلاثمائة من الأرمن، وبلغ خبرهم إلى النصارى بأياس فثاروا بمن عندهم من المسلمين وأحرقوهم غضباً للأرمن لمشاركتهم في دين النصرانية [57].

فقرر السلطان الناصر محمد مهاجمة الأرمن وأختار أن يكون ميناء أياس هدفاً لهذا الهجوم وأصدر أوامره إلى نائب حلب الطنبغا ليكون قائداً لهذه الحملة ففعل ذلك، وأستطاع الوصول إلى مركز الميناء فأقام على القلعة منجنيقاً عظيماً وركب المسلمون إليها جسوراً من الأخشاب في البحر إلى أن قاربوا القلعة، فحصل الاستيلاء على ذلك براً

وبحراً، فهرب الأرمن منها وأخلوها وألقوا في القلعة ناراً، وفتحها المسلمون، وكان رد فعل الأرمن التوجه إلى اللاذقية في محاولة لانتزاعها من أيدي المسلمين، لكنهم فشلوا في ذلك، وبعد أن تحقق ملك الأرمن من إمكانية القوة العسكرية الإسلامية التي يمتلكونها، أرسل رسله إلى مصر وقدم التنازلات [58].

وتعهد ليون الثاني بدفع جزية سنوية ضخمة قدرها خمسون ألف فلورين، أي ما يوازي مائة ألف درهم، فضلاً عن نصف دخل المكوس التي تجمع من ميناء أياس من التجارة البحرية، ونصف ما يجبى من ثمن الملح [59].

وفي عام (729هـ/ 1329م) تحسنت العلاقات السياسية بين المسلمين والأرمن، فقبل ليون أن يكون تابعاً للسلطان الناصر محمد، وكان حريصاً على استرضائه، فعمل ليون على قتل وصيه أوشين حاكم إحدى مدن أرمينيا الصغرى، متهماً أياه بإثارة الفتنة بين المماليك والأرمن، وأرسل رأسه إلى السلطان كي يحتمي به فوافقه وأرسل له تشريفاً وسيفاً وفرساً بسرجه ولجامه مع الأمير شهاب الدين أحمد [60].

لم تدم السياسة السلمية طويلاً، فقد حاول ليون التخلص من التبعية المملوكية، وكان الباعث على توتير العلاقات، إحياء البابا يوحنا الثاني والعشرين الحملات الصليبية، ضد الشرق الإسلامي.

ففي العام (736هـ/ 1335م) أعلن هذا البابا عن تسيير حملة صليبية إلى الشرق لمساعدة أرمينيا الصغرى بقيادة فيليب السادس، ملك فرنسا، على أن يكون هدفها مصر أولاً [61].

ابتهج ليون لهذه الأخبار، وأعتقد أن الفرصة اتيحت له ليتخلص من تبعيته للناصر محمد، فأمتنع عن دفع الجزية، وأرسل جيوش لمهاجمة المناطق الحدودية مع بلاد الشام.

إلا أن مشروع الحملة تلاشى عقب وفاة البابا، وفي هذه الأثناء شعر السلطان الناصر محمد بقوة جيشه، ولم يبق أمامه أهداف للوصول اليها، إذ تطهرت ساحة بلاد الشام من الصليبيين والمغول، فأصبحت الظروف مهيأة لفتح المدن والحصون والقلاع المنتشرة جنوب وشرق نهر جيحان والعائدة لمملكة أرمينيا الصغرى، وكان الهدف من وراءها إحكام السيطرة العسكرية وتمهيد الطريق للمسلمين على ضفتي نهر جيحان وتقليص الفعاليات العسكرية للأرمن التي قد تحدث مستقبلاً.

ونتيجة لعدم وفاء الأرمن بالتزاماتهم فقد شهد العام (737هـ/ 1336م) هجوماً جديداً على ميناء أياس من قبل الجيش الإسلامي، فقد وصلت القوة المهاجمة إلى ميناء أياس وحاصرته ثلاثة أيام، لم يستطع جيش الأرمن المواجهة العسكرية ودخل المسلمون مدينة سيس بعد تهديم أياس، واضطر ليون إلى التسليم بمطالب السلطان، وأرسل إليه مفاتيح القلاع الواقعة وراء نهر جيحان [62].

وأعلن موافقته على كافة الشروط التي تملى عليه من قبل المسلمين بضمنها تنازله عن المدن التي تقع على ضفتي نهر جيحان وهي:

المصيصة وكويرا والهارونية وسرفندكار وأياس وبنياس والنجيمة والنقير[63].

أستطاع السلطان محمد أن يتوج أعماله العسكرية بهذا الفتح العظيم ضد الأرمن، إذ كانت هذه المواقع تشكل خطراً وعائقاً أمام المسلمين، لكونها من أعظم مدن الأرمن، فكان الأستيلاء عليها يعني عدم قدرة القوى المعادية للأسلام على مجابهة المسلمين وقد ابتهج المسلمون بهذا الفتح العظيم [64].

في أعقاب الحملة العسكرية الهامة الأخيرة للسلطان الناصر محمد، انطلقت الغارات التي أجبرت أرمينيا على دفع الجزية للمماليك، والتخلي عن قلعة أثر قلعة، والأذعان في النهاية إلى الأندماج في دولة المماليك، وبين العام (735- 748هـ/ 1334- 1348م) شُنت ثماني حملات ناجحة من حلب [65].

5- نهاية مملكة أرمينيا الصغرى:

أدرك المماليك أن الأرمن لم يتعظوا من حروبهم السابقة والهزائم التي تلقوها على أيديهم، فصمموا هذه المرة على إسقاط مملكتهم وإزالة خطرهم بالكامل، لذلك قرر المماليك تدمير المدن الأرمينية الساحلية الواحدة تلو الأخرى، واضطر ليون أن يهدم ميناء أياس لكي لا يستفيد منه المماليك، ومع ذلك أغار عليه المماليك في العام (748هـ/ 1347م) وألحقوه بمناطق نفوذهم كما استولى المماليك على (أدنة) و (طرسوس) في العام (761هـ/ 1359)، ولم يبق أثر هذه الحملات المملوكية على الأرمن سوى العاصمة (سيس) و (أنزرب) الواقعتان في المناطق الجبلية [66]، التي تسمى قليقية.

ورغم ذلك استمرت دولة الأرمن قائمة في قليقية وأضحى حكامهم من الفرنج، فقد أقرت كنيسة الأرمن سلطان كنيسة روما عليها، كما كان لعدد كبير من نبلاء الأرمن علاقات وثيقة بقبرص [67].

أدرك المماليك أن الأرمن لا يمكن إزالة خطرهم إلا بإزالة دولتهم نهائياً، لذلك استمر الضغط عليهم، لاسيما بعد انهيار الدولة المغولية وحرمانهم من أكبر مساند وحليف لهم، فضلاً عن اضافة معظم بلادهم الشمالية إلى الدولة العثمانية الناشئة [68].

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت أرمينيا الصغرى في حالة تبعية تامة وفعلية لسلطة المماليك، وتم استعمال الأرمن في الزراعة وعين في كل قلعة نائب، ورتب فيها عسكراً [69].

لقد أخذت المصائب تتراكم على دولة أرمينيا الصغرى، فبعد أن فقدوا ركيزة بانهيار الامارات الصليبية، وافتراس المغول لاقتصادهم، وهجمات المسلمين التي أنهكتهم، فضلاً عن أعمال القرصنة البحرية التي نخرت عظامهم[70].

قرر المماليك في العام (776هـ/ 1375م) وبأمر من السلطان الأشرف، سار اليهم أشقتمر المارديني صاحب حلب لغزو ما تبقى من أرمينيا الصغرى، فأستطاع أن يستولي على سيس وسائر قلاعها [71]، وعلى الرغم من المقاومة التي أبداها ليون السادس مدة شهرين، إلا أنه وقع أسيراً، فأقتيد مكبلاً مع حاشيته إلى القاهرة، لتختفي إلى الأبد مملكة أرمينيا الصغرى، فأصبحت مستعمرة تابعة للمماليك حتى وقوعها بيد الدولة العثمانية [72]، وابتهج المسلمون في العالم بانقراض هذه المملكة التي كانت شوكة في جنب المسلمين وهددت مصالحهم الاقتصادية.

أمضى ليون السادس في الحبس سبع سنوات في القاهرة، وأطلق سراحه (785هـ/ 1383م) بعد توسط حكومة البنادقة بعد دفع فدية مالية وتعهده بأن لا يطأ ثانية أرض بلاده [73].

خاتمة بأهم النتائج:

بعد الاطلاع على المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث يمكن أن نلخص أهم النتائج التي توصل اليها البحث وكما يأتي:

1- إنَّ دولة أرمينيا الصغرى نشأت على أرض إسلامية في منطقة جبلية وعرة تقع إلى الجنوب الغربي من آسيا الصغرى وضمت اليها مناطق ومدن ساحلية بمباركة الروم البيزنطيين الذين تجمعهم الديانة الواحدة.

2- تحالف الأرمن مع اعداء المسلمين التقليديين من الصليبيين والمغول والكرج وساهموا في الحروب التي خاضتها هذه القوى ضد المسلمين.

3- قامت أرمينيا الصغرى بأدوار خطيرة منذ تأسيسها وحتى انقراضها ضد المسلمين، وشاركت بالمشاريع البابوية في فرض الحصار الأقتصادي وألحقت أضرار اقتصادية ضد المسلمين.

4- النقطة المهمة التي ساهمت في أنهيار مملكة أرمينيا الصغرى هي وحدة الجيوش الإسلامية التي ضمت العساكر المصرية وعساكر المدن الشامية وغيرها من العساكر الإسلامية التي اشتركت وتوحدت تحت راية الإسلام الذي وحدهم ورفع الروح الجهادية ضد الأعداء.

5- كان لأنهيار الإمارات الصليبية من جهة وتحول مغول فارس إلى الديانة الإسلامية، دور مهم في عزل أرمينيا الصغرى وانهيارها اقتصادياً وعسكرياً، وبقيت عاجزة أمام المد الذي أحاط بها من كل جانب.

6- نمو الدولة العثمانية من الجهة الشمالية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، التي قامت بضم أجزاء كثيرة من أرمينيا الصغرى إلى ممتلكات الدولة العثمانية.

7- الاضطرابات السياسية الداخلية والصراع على العرش، فضلاً عن أعمال القرصنة والانهيار الاقتصادي الذي أدى إلى التعجيل بسقوط الأرمن وانقراض دولتهم نهائياً أمام ضربات المماليك.

الهوامش :

(1) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، (ت 626هـ/ 1128م)، معجم البلدان، تقديم عبد الرحمن المرعشي، دار إحيار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، 1/ 132- 133؛ البغدادي، صفي الدين بن عبد الحق (ت 739هـ/ 1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، ط1، 1992، 1/ 60.

(2) الحموي، المصدر نفسه، 1/ 133؛ إبن خرداذابة أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت 300هـ/ 912م)، المسالك والممالك، دار صادر بيروت، طبع بمطبعة بريل، 1889، ص122؛ البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى، (ت 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978، ص197.

(3) إبن حوقل، أبي القاسم محمد النصيبي، (ت 367هـ/ 977م)، صورة الأرمن، الناشر، شركة نوابع الفكر، القاهرة، ط1، ص176- 178.

(4) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1963، 3/ 167- 169.

(5) ابن خردذابة، المصدر السابق: ص 253.

(6) البلاذري، المصدر السابق: ص 168.

(7) أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، (ت 665هـ/ 1266م)، الروضتين في أخبار الدولتين، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 4/ 24- 25.

(8) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، (ت 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ج1/ 121، 90، 97.
(9) رنسيمان، ستيفن، المصدر السابق: ص 1/ 279.
(10) رنسيمان، ستيفن، المصدر نفسه: ص 279/1- 280.
(11) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مكتبة الإنجلو المصرية، ط3، 1963، ص97- 98.
(12) سيس، بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس، علي عين زربة، وبها عسكر إبن ليون سلطان تلك الناحية الأرمني.
(13) رنسيمان، ستيفن، المصدر السابق: ص 168/1- 169.
(14) اليعقوبي، المصدر السابق: ص 205.
(15) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص207.
(16) إبن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، (ت 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، لبنان، 2010، 10/ 103.
(17) وهو نهر كوك سر، أحد فروع نهر الفرات يقع في بلاد الروم- تركيا حالياً، من جهة حلب.
(18) إبن واصل، جمال الدين محمد بن سالم الحموي، (ت 697هـ/ 1297م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الأول، 1953، 2/ 99.
(19) ابن الأثير، المصدر السابق: ص 10/ 103.
(20) ابن واصل، المصدر السابق: ص 3/ 233- 235.
(21) الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، مكتبة الشريف للطباعة والنشر، القاهرة، 1974، ص244.
(22) رنسيمان، ستيفن، المصدر السابق: ص 3/ 508- 512.
(23) رنسيمان، ستيفن، المصدر نفسه: ص 3/ 514.
(24) توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة الموصل، 1975، ص43.
(25) رنسيمان، ستيفن، المصدر السابق، 3/ 553.
(26) إيرالابدوس، مدن إسلامية في عهد المماليك، ترجمة علي ماضي، الأهلية للطباعة والنشر والتوزيع، ، بيروت، لبنان، 1987، ص213.
(27) توفيق اليوزكي، المصدر السابق: ص 39.
(28) عاشور، المصدر السابق: ص 246- 247.
(29) توفيق اليوزبكي، المصدر السابق: ص 39.
(30) ابن العبري، أبي الفرج بن هارون، (ت 685هـ/ 1286م)، تاريخ مختصر الدول، تصحيح إنطوان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ص. ب، 93، لبنان، 1983، ص498.
(31) أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت 732هـ/ 1331م)، المختصر في تاريخ البشر، تقديم حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 4/ 8.
(32) ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت 723هـ/ 1323م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص254- 255.
(33) الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان، (ت 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة الالكترونية، 49/ 13؛ أبو الفداء، المصدر السابق: ص 4/ 9.
(34) الكتبي، محمد بن شاكر، (ت 764هـ/ 1362م)، عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، سلسلة كتب التاريخ، 1980، 20/ 361؛ ابن العبري، المصدر السابق: ص 499.
(35) أبي الفداء، المصدر السابق: ص 4/ 19.
(36) ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت 881هـ/ 1476م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971، 4/ 158.

(37) ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله بن نشوان، (ت 692هـ/ 1293م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك منصور، تحقيق كامل مراد، القاهرة، ط1، 1961، ص30- 32.
(38) ابن عبد الظاهر، المصدر نفسه، ص92- 103.
(39) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821هـ/ 1418م)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد، عالم الكتاب، بيروت، 1964، 2/ 122.
(40) الحموي، ياقوت، المصدر السابق: ص 7/ 83.
(41) أبي الفداء، المصدر السابق: ص 4/ 36- 37؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 5/ 480.
(42) ابن الفوطي، المصدر السابق، ص323.
(43) ابن الفوطي، المصدر السابق، ص323؛ الكتبي، المصدر السابق، 23/ 106- 107.
(44) ابن كثير، المصدر السابق، 13/ 327.
(45) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1441م)، السلوك لمعرفة دولة الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، د. ت، 1/ 784.
(46) ابن كثير، المصدر السابق، 13/ 348.
(47) ابن كثير، المصدر نفسه، 13/ 352.
(48) الكتبي، المصدر السابق، 23/ 247.
(49) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808هـ/ 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، 5/ 486.
(50) أبي الفداء، المصدر السابق، 4/ 48؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 5/ 498.
(51) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/ 48.
(52) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/59- 60.
(53) ابن خلدون، المصدر السابق، 5/ 498.
(54) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/65.
(55) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/91.
(56) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/103- 105.
(57) المقريزي، المصدر السابق، 2/ 237.
(58) ابن خلدون، المصدر السابق، 5/ 510.
(59) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/107.
(60) القلقشندي، المصدر السابق، 8/ 31.
(61) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/117.
(62) رنسيمان، ستيفن، المصدر السابق، 3/ 738.
(63) أبي الفداء، المصدر نفسه، 4/139.
(64) ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت 749هـ/ 1348م)، تتمة المختصر في أخبار البشر أو تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970، 2/ 445.
(65) ابن الوردي، المصدر نفسه، 2/ 445.
(66) ايرالابدوس، المصدر السابق، 49.
(67) عبد القادر، أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلادي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1969، ص232.
(68) رنسيمان، ستيفن، المصدر السابق، 3/ 751- 752.
(69) رنسيمان، ستيفن، المصدر نفسه، 3/752.
(70) المقريزي، المصدر السابق، 2/ 430.
(71) عبد القادر، أحمد يوسف، المصدر السابق، 232.
(72) ابن خلدون، المصدر السابق، 5/ 511.

(73) رنسيمان، ستيفن، المصدر السابق، 752/3.

المصادر والمراجع

1- إبن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، (ت 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، لبنان، 2010.

2- إيرالابدوس، مدن إسلامية في عهد المماليك، ترجمة علي ماضي، الأهلية للطباعة والنشر والتوزيع، ، بيروت، لبنان، 1987.

3- البغدادي، صفي الدين بن عبد الحق (ت 739هـ/ 1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، ط1، 1992.

4- البلاذري، أبي الحسن أحمد بن يحيى، (ت 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978.

5- توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة الموصل، 1975.

6- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، (ت 626هـ/ 1128م)، معجم البلدان، تقديم عبد الرحمن المرعشي، دار إحيار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

7- إبن حوقل، أبي القاسم محمد النصيبي، (ت 367هـ/ 977م)، صورة الأرمن، الناشر، شركة نوابع الفكر، القاهرة، ط1.

8- إبن خرداذبة أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت 300هـ/ 912م)، المسالك والممالك، دار صادر بيروت، طبع بمطبعة بريل، 1889م.

9- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808هـ/ 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

10- ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت 881هـ/ 1476م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971.

11- الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان، (ت 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة الالكترونية.

12- رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1963.

13- الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، مكتبة الشريف للطباعة والنشر، القاهرة، 1974.

14- عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مكتبة الإنجلو المصرية، ط3، 1963.

15- عبد القادر، أحمد يوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلادي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1969.

16- ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله بن نشوان، (ت 692هـ/ 1293م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق كامل مراد، القاهرة، ط1، 1961.

17- ابن العبري، أبي الفرج بن هارون، (ت 685هـ/ 1286م)، تاريخ مختصر الدول، تصحيح إنطوان اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ص. ب، 93، لبنان، 1983.

18- أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت 732هـ/ 1331م)، المختصر في تاريخ البشر، تقديم حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ذخائر العرب، 69.

19- ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت 723هـ/ 1323م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

20- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821هـ/ 1418م)، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد، عالم الكتاب، بيروت، 1964.

21- الكتبي، محمد بن شاكر، (ت 764هـ/ 1362م)، عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، سلسلة كتب التاريخ، 1980.

22- إبن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ط2، 1977م.

23- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، (ت 346هـ/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.

24- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1441م)، السلوك لمعرفة دولة الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، د. ت.

25- إبن واصل، جمال الدين محمد بن سالم الحموي، (ت 697هـ/ 1297م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، جامعة فؤاد الأول، 1953.

26- ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت 749هـ/ 1348م)، تتمة المختصر في أخبار البشر أو تاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970.

27- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر، (ت 284هـ/ 897م)، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2002.